

# علوم العرب وفنونهم

## حضارة العرب و ثقافتهم

في شعرهم وفنونهم ومعارفهم

لقد مر بنا ان عصر العباسيين كان عصرًا زاهراً فيه الادب والفن والعلوم ، فكانت الشعراء من افراد الامة يرقون رقيها في معارج الحضارة والعمران .

وفي قصة البدوي الذي قدم حاضرة عامرة فاكرمه صاحبها فمدحه بيتين من الشعر اشارة بيّنة الى تأثير المحيط بأفكار الرجال وفعل الحضارة بقرائح الشعراء .

قال العلامة سليمان البستاني في شرح الاياداة بهذا الضد :  
لقد رتع الشعراء في زمن الدولة العباسية في ارجاء ذلك الملك الفسيح متربعين بعد شطف العيش على الضناقس الوثيرة في المنازل الانيقة امام الحدائق الغناء وخلفاؤهم يصعدون بالامة في سلم المدنية يحرصون على استثمار ذلك الفتحة المبين فيدخرون ما تلقوه

عن تقديمهم ولا يألون جهداً في إحكامه واثقانه حتى بهروا القرب  
بما تجمع لديهم من ذخائر السلف النفيسة ، فلا بدع وكل ذلك  
مشهود الشعراء ان تتثقف اذهانهم وتعرض نفوسهم وتتسع  
مداركهم ويرق تصورهم ويمرحوا في روض اريض يجولون فيه  
جولة لم تتوفر اسبابها لسلفائهم .

# حضارة العرب في فن الموسيقى

وعلم الفلك والفلسفة

الموسيقى : او فن التطريب هي احد الفنون الجميلة « وهي الشعر والرسم والنحت وهندسة البناء والموسيقى » ، وكان للعرب استعداد فطري لهذا الفن لحساسة نفوسهم وشدة تأثرهم . وكان البدوي في جاهليته يعرف من الموسيقى غناء الشعر وانشاده يحدو به وراء إبله اثناء مسارحها . فلما اخذت الحضارة تنتشر بين قبائل العرب كانت آلات طربهم الطبول والمزامير تغني البنات عندهم على صوتها . ثم لما جاء الاسلام واستولت العرب على الممالك وصاروا الى نضارة العيش واقبل المغنون من الفرس والروم الى الحجاز وصاروا موالى للعرب غنّوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والقيثارات والمزامير وسمع العرب تلحينهم فلهجّسوا عليها اشعارهم .

وما زالت صناعة الغناء تزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف حتى اصبحت علماء قائماً بنفسه فعمدوا حينئذ الى تدوينه وألّفوا فيه المؤلفات المسبوبة

فضلاً عما استنبطوه من الألحان أو اختراعوه من الآلات .  
وصار للعرب مذاهب في الغناء خاصة بهم لاسيما في أيام بني  
العباس حيث كملت هذه الصناعة عند المغنين المشهورين كابراهيم  
ابن المهدي اخي الرشيد وابراهيم الموصلي وابنه اسحق الذي اصبح  
إمام المغنين وغيرهم . وعند المغنيات مثل جميلة وحجابة  
وسلامة وعقيلة وغيرهن .

وقد اتصلت عنهم ببلاد المغرب حيث اشتهر اهل اشبيلية  
بحب الغناء وفن التطريب . وجمعت اغانٍ عديدة في كتاب  
« مجموع الاغاني والألحان من كلام اهل الاندلس » لكلٍ منها  
لحن . وقد جمع المؤلف الألحان المتشابهة وسمّاها « نوبة »  
فبلغ عدد النوب ثلاث عشرة نوبة وهذه اسمائها : الدليل والمجنبة

---

١ ومن مخترعاتهم الموسيقية « القانون » الذي اخترعه ابو نصر الفارابي  
الفيلسوف ، فقد ذكر عنه انه اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها  
وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ولكنها في كل حال غريبة في بابها .

ذكروا ان الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة ولم يكن احد من الحضور  
يمرفه ، فعاب المغنين ، فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ففتح خريطة كانت معه  
واستخرج تلك الآلة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس .  
ثم فكّنها وركبها تركيباً آخر وضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس . ثم  
فكّنها وغيّر تركيبها وخرب ضرباً آخر فقام كل من في المجلس حتى البواب  
فتركهم نياماً وخرج .

والحسين والعراق والرمل الماية والرمل والغريب والزيدان  
والرصد والمزموم والصيكة ونربة المابسة وجاركة . ولكل  
منها فروع . وتحت كل باب اغانٍ مختلفة الاوزان .

**علم الفلك :** قديم عند سائر الامم، اخذ اليونان مبادئ هذا  
العلم على الفينيقين وقد توسع فيه العرب من عند انفسهم وكان  
لهم فيه عناية كبرى، فراجت بينهم صناعة التنجيم رواجاً عظيماً  
ادى بهم الى ابطالها لانهم وجدوها مبنية على الوهم، غير ان  
معظمهم قد مالوا اخيراً بهذا العلم نحو الحقائق المبنية على المشاهدة  
والاختبار .

وكان للمسلمين حظٌ وافر من معارفهم الفلكية، فقد جمعوا  
فيها مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية .  
وكانوا كثيري العناية بعلم الفلك يرصدون الافلاك والانواء  
والاعتماد الربيعي والخريفي، ويحسبون الكسوف والخسوف،  
ويؤلفون الازياج ويقدمون العروض ويراقبون السيارات  
ويرتحلون الى الهند وفارس في طلب هذه المعارف ويتبحرون  
في كتب الاوائل ويتممون ما نقص فيها .  
وكان سبب اقبال العرب على العلوم والفنون والرغبة في

---

١ الازياج جمع زيغ معرب زيك بالفارسية وهو عند المنجمين كتاب تعرف  
به احوال حركات الكواكب وسيرها وحسابها سنةً سنةً، ويستخرج منه التقويم .

الفلسفة القديمة هو معرفة مستقبل احوالهم التي يعتقدون انها  
تتحصل لهم جيّداً من اتقان علم الفلك. لانهم كانوا يعتقدون في  
انواء المنازل اعتقاد المنجمين في السيارات . فازدهر هذا العلم  
بينهم فأنشأوا له المدارس الكبرى والمرصد الفلكية المتقنة في  
بغداد والشام والقاهرة وفي طليطلة وقرطبة باسبانيا، وقد اكد  
لهم كل التأكيد الاطباء الذين استخدموهم منذ ظهور الاسلام من  
الروم والفرس وغيرهم الذين اقنعوهم بانه لا يتأق لانسان ان  
يكون طبيباً ما لم يكن منجماً . ولا منجماً حاذقاً الا اذا كان  
فيلسوفاً . وهذا ما حدا بالخلفاء العباسيين الى ترجمة كتاب  
« سند هند » الكبير للخليفة ابي جعفر العباسي . وهكذا المأمون  
الذي هو اول من ادخل العلوم المذكورة بين المسلمين ، فانه  
لم يتقن علماً من هذه العلوم الا علم الفلك الذي جنى منه  
فوائد جمة . وكانوا يستعملون آلات لرصد الافلاك كالآلة العربية  
الشهبيرة « ذات السموت » والزوج والكرة والاسطرلاب  
( ميزان النجوم ) . وقد نبغ من علماء الفلك والنجوم جهور  
خلفوا في هذا الفن مؤلفات نفيسة اشهرهم نابغة علم النجوم ابو  
الريحان محمد بن احمد البيروني . ثم البوزجاني وابن رستم  
الكوهي وابو الحسين الحوفي وغيرهم كثير .

## النهضة العلمية

لما عرف العرب قدر الكتب القديمة وفوائدها لرقى المجتمع  
اقبلوا على ترجمتها الى لسانهم حتى صارت عندهم من اعظم الفنائم  
التي يتحفون بها ملوكهم فينقلونها الى عواصم بلادهم .

وكانت بداية هذه النهضة الحميدة في زمن الخليفة هارون  
الرشيد. فان هذا الخليفة ابدى في العلم رغبة زائدة لاسيما عندما  
استحضر الى بغداد الكتب القديمة التي كانت محفوظة بجزائر انقره  
عندما فتحها. فامر طبيبيه يوحنا بن ماسويه ان يترجمها الى اللسان  
العربي، وكان وزير هذا الخليفة جعفر البرمكي واهل بيته يهتنون  
ايضاً بترجمتها اعتناءً زائداً .

قال بعض المؤلفين : ان هارون الرشيد كان لا يخرج الا في  
مئة من العلماء . فرفع منار المعارف في بلاده، وقرّب اليه اهلها،  
ووضع لهم احكاماً حسنة كوجوب اقامة مكتب بجانب كل  
جامع ، فسرى العلم في مملكته وبدل روح اهلها واستلهم الى  
الحضارة فدعي عصره « العصر الذهبي » .

# المكتبات الشهيرة

و جمع الكتب وترجمتها

ان الذي اشتهر بترجمة الكتب الاعجمية الى لغته العربية هو الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد. فان هذا الخليفة كان اكثر رغبةً ممن تقدمه في طلب الفلسفة . وكان يكرم العلماء واصحاب المعارف ويجمعهم في كل جهة ليزين بهم دار سلطنته ، ويعتني بكل جهده في ترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية ، فابتنى هذه الغاية داراً في بغداد سماها بيت الحكمة . وكان اكثر المشتغلين بنقل العلوم الدخيلة في ذلك العصر من غير المسلمين ، فلما صارت تلك العلوم بالعربية اشتغل بها المسلمون ونسخ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم .

قال بعض المؤلفين ان في ايام المأمون زهت العلوم واينعت حدائق المعارف ، فبعث العلماء الى الاقطار القاصية وجمع كتب فلاسفة اليونان وكتب بطليموس الروماني في معرفة النجوم ككتاب المجسطي المشهور وترجمها ووزعها على اهل بلاده . وشغف بالعلم كل ايامه ولم يكن يجالس الا العلماء . وقد سرت

هذه الرغبة في تشييد الدور للمكتبات وجمع الكتب فيها الى  
الخلفاء الفاطميين في مصر فشيّدوا « دار الحكمة » في القاهرة .

وكانت دار الحكمة مكتبة عظيمة فضمة ونادياً كبيراً للدرس  
والبعث والمطالعة والجدل والمناظرة ، انشأها الحاكم بامر الله بن  
العزیز بالله سنة ٣٩٥هـ وفرشها بالطنافس وعلق على ابوابها الستور  
وعین لها الفراشين والنساج واستجلب لها الكتب النفيسة من  
عواصم العالم الاسلامي وحبس لها الاوقاف واباح للشعب الدخول  
اليها في جميع الاوقات لتتم منها الفائدة . وروى الثقات ان عدد  
كتبها كان لا يقل عن مائة الف مجلد . اما حكام الاندلس  
فقد احبوا المكتبات والكتب . وكان اشهرهم على الاطلاق في  
جمعها وترتيبها والبنال على استجلابها الخليفة الحكم بن الناصر  
لدين الله الذي مرّ بين ملوك الدولة الاموية في الاندلس .

فلما طما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية وكثرت  
المدارس وعظم الملك انتسخت الكتب وملئت بها الخزائن  
والقصور . وتنافس اهل الاقطار في ذلك . قال ابن خلدون :  
ان البلاد التي زخرت فيها بحجار العلم هي بغداد وقرطبة والقاهرة  
والبصرة والكوفة .

## المنطق وفلاسفة العرب

لقد اتبع العرب في طلبهم للعلوم القديمة مذاهب الفلاسفة فتفرغوا للعلوم المنطقية التي أخذوها من منطق ارسطاطاليس ولم يزيدوا عليه شيئاً ، وأول من ترجمه إلى العربية عبد الله بن المقفع الخطيب الفارسي الذي ترجم لابي جعفر المنصور العباسي الكتب الثلاثة التي لارسطاطاليس في المنطق ، وهو علم من العلوم المدونة ويسمى بالميزان ايضاً ويُعرف بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر ، ونسبته إلى القلب كنسبة النحو إلى اللسان والعروض إلى النظم ونحو ذلك .

قال احد المؤلفين ان هذا العلم اشرق متلألئاً بعد ان تُرجمت الفلسفة عند المسلمين إلا أنهم اقتصروا اخيراً على مبادئه حيث ضرب المثل عندهم « من تمنطق فقد تزندق » . وقد لخص ابو نصر الفارابي كتاب ارسطو في كتابه المسمى بالثمانية وعلّق عليه شروحاً . ولخصه ايضاً ابن رشد تلخيصاً حسناً . ثم قام بين العرب عدد غفير من الفلاسفة اتبعوا فلسفة ارسطو في ما لا يمس منها اصول معتقدتهم .

والخلاصة ان الثقة التي تمتع بها ارسطو في اوروبا الى اواسط القرن السادس عشر قد تزعزعت في بغداد قبل ان ينتصف القرن التاسع. والعرب لم يأخذوا بجميع المذاهب الفلسفية مرة واحدة بل كانوا يختارون من المذاهب كلها، وكانوا اذا وجدوا مذهباً غامضاً او قاصراً جلوه بالتفسير والشرح واثثوا ما فيه من القصور والنقصان. وهكذا دخلت هذه المذاهب الفلسفية اجيالاً في نسيج الثقافة العربيّة لا كما اتهموا العرب انهم استعاروا الفلسفة من اليونان.

# حضارة العرب في علم الجغرافية

والهندسة والحساب والنبات والزراعة

الجغرافية : يقسم علم الجغرافية الى قسمين : جغرافية عامة شاملة كل اجزاء المملكة براً وبحراً ، وجغرافية خاصة تبحث عن بقعة معينة من الارض .

## اسباب وضع الجغرافية عند العرب المسلمين

ان الاسباب التي دعت العرب المسلمين لوضع الجغرافية هي :

١ - الحج الى مكة ، وافتقارهم الى معرفة المنازل فيها والطرق المؤدية اليها .

٢ - افتقارهم الى معرفة الاماكن والمناطق التي كانوا يرحلون اليها في طلب العلوم .

٣ - افتقارهم الى معرفة طرق البلدان التي كانوا يجمعون منها الخراج والجزية واجتناء المقاطعات .

فهذه الاسباب حدثت بهم الى تأليف الكتب الجغرافية . ولما

تُرجمت الجغرافية الى العربية انذوا في تأليف الكتب على مثالها ،  
ولم يكتفوا بذلك بل جابوا الاقطار وكتبوا ما شاهدوه .  
وصفحوا كثيراً من مغالط بطليموس حتى اصبحوا يحسبون  
من الطراز الاول بين الجغرافيين .

وعندما وسع العرب فتوحاتهم وأنشأوا المستعمرات العربية  
في الهند والصين وجزر الارخبيل الهندي وجزيرة مالايا ،  
و كثرت تجارتهم واسفارهم البحرية ، كانوا يتجشمون العناء الكبير  
في ايجاد النجمة القطبية ليلاً ليهتدوا الى طريق امينة توصلهم الى  
ما يقصدون . فتوفقوا اخيراً بجهدهم المستمر الى اختراع البوصلة  
البحرية . فكانوا من المجلتين في اكتشاف الشواطئ الافريقية  
واختبرت اساطيلهم التجارية البحار فنقلت البضائع من ثغور  
البحر المتوسط الى اسبانيا وفرنسا وايطاليا . وكانت البصرة في  
اوج الامبراطورية العربية من اعظم الموانئ التي كانت تصدر  
البضائع الى المشرق والمغرب .

قال ملطبرون العالم الجغرافي الفرنسي ان العرب جازوا حدود  
الارض المعروفة وتوغلوا في اسيا وافريقية . وان الخلفاء في  
صدر الاسلام امرؤا أمراء جيوشهم وعملهم ان يرسم كل منهم  
خطط البلاد التي افنتحها واستولى عليها . وقال ايضاً ان العرب  
استكشفوا استكشافات في بحري الهند والصين وظهر منهم

راصدان بذلا وسعهما في التخطيط وهما الواقدي<sup>١</sup> وابو زيد<sup>٢</sup> فجابا  
ابعد بلاد اسيا وخططاها من سنة ٢٣٧ هـ ( ٨٥١ م ) الى سنة  
٢٦٤ هـ ( ٨٧٧ م ) .

ويوجد كثير من العرب الجغرافيين غير الذين ذكرهم ملطبرون  
فضلاً عن السيامح الفلكيين الذين ساحوا الى افريقية والهند والصين  
وروسيا وغيرها كالبيروني وابن بطوطة والقرطبي المعروف بالاسد  
الافريقي . والذين كتبوا عن السياسة وعن صادرات البلدان  
ووارداتها وعدد اهلها ومُدُنُها وقراها وسائر اوصافها .

### الخرائط الجغرافية عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة . اما العرب فبدأوا برسم  
الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك والجغرافية ،  
وكانوا يجعلون اساس رسوماتهم قياس العرض والطول . واول من  
رسم منهم خريطة الارض على هذا الاساس محمد بن موسى المعروف  
بالخوارزمي في زمن المأمون ، فانه عيّن مواقع المدن والبحور  
بالدرجات الجغرافية المبنية على علم الفلك . فلما اخذوا بالرحلة

---

١ الواقدي هو محمد بن عمر الواقدي مولى بني هاشم وصاحب التصانيف في المغازي  
وغيرها .

٢ ابو زيد هو عمرو بن شبة صاحب كتاب تاريخ البصرة .

تركوا المقاييس وصاروا يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل ابو زيد  
البلخي في اوائل القرن الرابع للهجرة وابن حوقل والاصطخري  
والمقدسي في اواسطه ، فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين الاماكن  
بالاقيسة فاكثفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الاربع  
بدون تقدير الابعاد بينها . غير أن الشريف الادريسي في الخريطة  
التي رسمها للملك روجر الثاني صاحب صقلية قد عيّن فيها الابعاد  
بين الاماكن : ومن بعده اخذ العرب يجرون على طريقته في  
خرائطهم .

## نشاط العرب في اسفارهم ورحلاتهم

ان البيئة الصحراوية التي نشأ فيها العرب أورثت طبائعهم حب الاهتمام والاعتناء بالاسفار والرحلات . فالعربي بفطرته الاصلية ميّالٌ الى التنقل شغوفٌ بالارتحال والتجوال ( ولعلّ لفظة عرب محرّفة عن كلمة « عبر » وذلك دلالة على العبور والتنقل وعدم الاستقرار في مكان خاص ) . ولقد بدت طلائع نشاطهم في الاسفار منذ اوائل القرن العاشر للميلاد . فالرجال الذين تركوا اوطانهم وساحوا في الارض قد ابقوا بعدهم اسفاراَ جليلة دونوا فيها ما شاهدوه من احوال الامم وتقاليدها وعاداتها المختلفة . وكان نشاطهم وليد ظروفٍ سياسية خاصة رافقت حياة العرب في ذلك العصر .

ولما كان العالم العربي الممتد في اقطار آسيا وافريقية وبعض اوروبا يموج بالاجناس والالوان والعصبيات كان همّ الخلفاء او الولاة المسلمين ان يوجدوا رابطة تجمع شمل هذه العناصر المتباعدة، فرأوا في الاسفار خير واسطة لربط تلك الاجزاء ومعرفة احوال تلك المناطق . فهذا الشعور برغبة الاتصال بالممالك البعيدة كان

من جملة البواعث التي حركت في العرب الرغبة بالاسفار من حين الى آخر .

**الهندسة :** اشتغل العرب بعلم الهندسة بعد ان طبقوه على المنطق وترجموا كتب اقليدس وارخميدس وابولونيوس . وكان احد الائمة المشاهير فيه ابو الوفاء البوزجاني الحاسب المشهور . وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها . وان استعمال الخطان « المعروف بين العامة بالبندول او الرقاص » كان معروفاً عند العرب لانهم هم الذين بدأوا باستعمال الساعات الدقاقة الدالة على اقسام الزمن . ومن ذلك يستبين ان جربرت الراهب الفرنسي الذي عمل اول ساعة ذات رقاص وأدخلها الى اوروبا اخذ هذه المعرفة عنهم فضلاً عما اكتشفوه من القوانين لمعرفة ثقل الاجسام ماثعها وجامدها .

**الحساب والجبر :** كان للعرب في علم الحساب شأن عظيم . قيل ان اول من وضع علم الحساب هو ابو الفرج قدامة الكاتب البغدادي وبه يضرب المثل في البلاغة فيقال : ابلغ من قدامة . لكن الصحيح ان العرب اخذوا طريقة الارقام الهندية عن الهندين ولهم فيها اتعاب جزيلة واعمال حسنة . وهم الذين ادخلوا الى اوروبا الرقوم الحسابية . فالافرنج يسمونها ارقاماً عربية لانهم اخذوها عن العرب . والعرب يسمونها ارقاماً هندية لانهم نقلوها عن

الهنود . واول من تناولها من الهنود ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي .

اما الجبر فالعرب فضل كبير في وضعه ، ولهم اليد الطولى في تأليفه ، وان واضعه ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي الذي جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس فاستخرج منه الجبر العربي . قال غوستاف لابون : كان علم الحساب معروفاً ومنتشراً بين العرب الذين اتقنوا فيه الجبر والهندسة . وكان علم الجبر اكثر انتشاراً في ايام المأمون في ارائل الجيل التاسع ، فقد كاف هذا الخليفة محمد بن موسى ووضَعَ قواعد الجبر العامة . ولما نهض الافرنج في قمتهم الحديث اخذوا الجبر عن العرب .

وادخل ابن الهيثم المصري في الجبر والحساب اساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي ، وعدّل في أوضاع الجبريين والفاظهم .

علم النبات : للعرب القدح الممل في درس علم النبات والتأليف فيه . وقد اخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن كتب الهند . وقام منهم من نبغ في هذا العلم كابن البيطار الطيب النباتي الذي سافر الى بلاد اليونان والى اقصى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا

الفن واتخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه ، واجتمع في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعان منابته بنفسه ، وذهب الى الشام وجاء الديار المصرية ودرس نباتاتها ، وبعد طول ذلك الاختبار ألف كتاباً في النبات هو فريد في بابهِ ، وكان عليه معوّل اهل اوروبا في نهضتهم الاخيرة في علم النبات .

وابي زكريا الاشبيلي الذي ألف في الحراثة كتاباً جليلاً . والانديلسيين الذين كانوا يعرفون خواص الاتربة ويحسنون الحراثة والفرس والسقي وبذلك جعلوا الاندلس جنة وسط قفار اوروبا ، وعلّموا الاهالي صناعة رفع المياه من سطحها الاملي ونقلها الى الاعلى بواسطة النواعير .

ومن المبرزين ايضاً في علم النبات رشيد الدين بن الصوري صاحب كتاب الادوية المفردة وكان كثير البحث والتدقيق يخرج الى لبنان وسوريا ويدرس الحشائش في منابتها ، وغيرهم كثير ممن ألفوا وكتبوا في الزراعة والحيوان كالقزويني والدميري وابن ابي زاخر .

علم الزراعة : عني العرب كثيراً بشؤون الزراعة . وعمدوا الى استثمار النواحي البحرية من بلادهم حيث الاتربة الحصبة والمياه الوفيرة . ومن العلوم التي نضجت في العصر العباسي الثاني واستفاد منها اهل الاجيال المتأخرة علم الزراعة او الفلاحة وهو

في الاصل منقول عن الكلدانية نقله احمد بن علي الكلداني المعروف بابن وحشية في كتاب سماه «الفلاحة النبطية» املاه علي بن علي بن محمد بن الزيات وجعله في خمسة اجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر والمكتبة الحديوية. ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني، وكتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية قسطا بن لوقا الطبيب النصراني البعلبكي .

اخلاصة : ان اوربا ظلت تتغذى من الثقافة العربية وتنعم بماثرها احقاباً متوالية الى ان ظهر بينهم في اوائل القرن السادس عشر مؤلفون في الزراعة وانواعها حتى صار لكل فرع منها اخصائيون بارعون في الزراعة العامة والزراعة الخاصة .

# حضارتهم في علم الطب والصيدلة

والكيميا والمداوس الراقية

نشأة الطب : نشأ الطب في اليونان الذين كانوا يعالجون مرضاهم بالكهانة وينسبون الامراض الى اعمال الشياطين والعلاجات الى اعمال الآلهة . وكان فلاسفتهم يتكلمون في الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعي . واول من رتب الطب فيهم وبوبه وبناه على أسس صحيحة ابقراط ولذلك سموه « ابا الطب » . فقد سافر هذا الفيلسوف الطيب الى سوريا واطلع على طب البابليين والمصريين فاضافه الى طب اليونان والتف فيه الكتب ، وكان يفصد ويحجم ويكوي ويحقن ويشخص الامراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنية . واشتغل في هذا العلم بعده ارسطو الفيلسوف وغيره . وازدهر الطب وكان له شأن كبير في مدرسة الاسكندرية الشهيرة على عهد البطالسة . ثم انتهى الى جالينوس في اواخر القرن الثاني للميلاد فاصبحت كتبه معول الناس فيه .

الطب عند العرب : لقد كان للعرب في زمن جاهليتهم معارف

في الطب نخشنة اما عملاً بالاستقراء والتجربة واما اخذاً عن  
السريان والفرس والهنود . وكان من اشهر اطباهم لقمان بن  
عاد ورجل من تيم الرباب يقال له ابن حنيفة والحارث بن كندة  
الذي اخذ الطب عن اهل جنديسابور في الجاهلية وابن ابي رومية  
الشمسي ونضر بن الحارث بن قصى .

ثم لما جاء الاسلام كثير المستفلون فيه وخدموه وتكاثر  
الاطباء ، فبنى الوليد بن عبد الملك « المارستان » ودور المرضى  
وجعل فيها الاطباء واجرى عليهم النفقات والارزاق . ومن ثم  
ترك التطيب عند اصحاب الطب الحشن من العرب ونجث عن  
اصحاب الثقافة في الطب الحديث .

فعين الخلفاء الامويون ثم العباسيون من بعدهم الاطباء  
البارعين من اليهود والنصارى كموريانوس الراهب الرومي الذي  
علم صناعة الطب لابي هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان  
واستفانوس وماسرجويه الطبيب اليهودي البصري وجاورجيوس  
ابن بختيشوع الجنديسابوري وابنه بختيشوع طبيب الخليفة هارون  
الرشيد ، ويوحنا بن ماسويه صاحب المؤلفات الشهيرة وتلميذه  
ابي زيد حنين بن اسحق العبّادي وابراهيم بن ثابت بن قرّة  
الخرّاني ، وابي الحسن هبة الله بن صاعد ويعرف بابن التلميذ  
النصراني ، ولم يكن مثله بعد ابقراط وجالينوس ، وله

كتاب في الاقربادين وشرح على كليات ابن سينا، وكان اديباً  
شاعراً ظريف المنادمة حسن المجالسة ، ومن شعره : لغز في  
الميزان وهو :

ما واسدٌ مختلفُ الاسماءِ  
يعدلُ في الارضِ وفي السماءِ

يحكمُ بالقسطِ بلا رياءِ  
اعمى يُرِي الارشادَ كلَّ راءِ

انخرس لا من علّةٍ وداةٍ  
يفني عن التصريحِ بالاسماءِ

يُجيبُ ان ناداهُ ذو امترأه  
بالرفعِ والحفضِ على النداءِ

يُفصحُ ان علّقَ في الهواءِ

( قوله مختلف الاسماء يعني بذلك ميزان الشمس وهو  
الاسطرلاب وسائر آلات الرصد . وهو معنى قوله يحكم في  
الارض والسماء . وميزان الكلام وهو النحو وميزان الشعر  
العروض وميزان المعاني المنطقي . والميزان المعتاد والمكيال  
والذراع ) .

وقال عنه ابن خلدون في ترجمته : كان هبة الله ابقراط عصره وجالينوس زمانه نَحْمَ بهِ الطب ولم يكن في الماضين من بلغ مداه فيه ، عمّر طويلاً وعاش نبيلاً بهي المنظر عالي الهمة مصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم .

وكان المسلمون في اكثر هذه الحقبة من الزمن مشغولين بدرس الفلسفة وباقي العلوم التي ادخلها بينهم الخلفاء العباسيون بواسطة الاطباء الى ان ظهر بينهم اطباء بلغوا درجة عالية في هذا الفن يحسبون الآن كحلاقة تربط سلسلة هذا الفن بين اليونانيين والافرنج .

وكان اول من اشتهر منهم في الطب ابو خالد يزيد بن معاوية الاموي الذي كان اعلم قريش بفنون العلم اخذ صنعة الطب عن موريانوس الراهب الرومي وله فيها تأليف قيّمة .

واحمد بن ابراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وعبد الله ابن المقفع ، والشيخ ابو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي توغل في العلوم الطبيعية وصار رئيس الاطباء في بيت الشفاء ببغداد بعد ان دبّر مارستان الري ، وهو صاحب كتاب « الحاوي » في الطب المشتمل على ثلاثين مجلداً اخذها جالينوس اليوناني عن آثار دائرة من كلام ابقراط الذي هو اول من كتب في صناعة الطب

بعد ان كانت صراً مذكوراً بين بني اقليسيوس لا يوحون بها لاحد .  
والشيخ الرئيس والفيلسوف الطيب ابن سينا ارسطو  
الاسلام وابطراطه صاحب كتاب « القانون » الشهير الذي عليه  
وعلى كتاب الحاوي للرازي المذكور كان اكثر معول العالم  
الطبي في التمدن الاسلامي في نهضة اوروبا قبيل التمدن الحديث .  
ولذلك يقال : كان الطب معدوماً فاعياه جالينوس ، وكان متفرقاً  
فجمعه الرازي ، وكان ناقصاً فكماله ابن سينا البخاري . و ابو  
القاسم الزهراوي طبيب اندلسي الصف في الطب تأليف مفيدة  
ترجمت الى اللاتينية وطبعت في اكسفورد والبندقية .

وابو علي يحيى بن حزمة الطيب صاحب كتاب المنهاج  
المشتمل على اسماء الحشائش والعقاقير والادوية وغير ذلك .  
والامام فخر الدين الرازي صاحب التصانيف المعتبرة في  
فنون عديدة منها في الطب شرح الكليات « للقانون » وشرح  
الاشارات لابن سينا . وصنف في الفراسة . ومن قوله في  
الشعر :

المرء ما دام حياً يُستهان به  
ويعظم الرء فيه حين يُفتقد

وظهر غير هؤلاء من الاطباء الذين بلغوا درجة عالية في

هذا الفن وقد اتبعوا فيه ابقراط وجالينوس . وكان لحكام  
الانديس فضل على اوروبا في الطب لا يُنكر ، فان مدرسة  
« ساترنو » لولاها لم تقم ولا امتد هذا الفن بين اهلها .

**الصيدلة :** كان للمسلمين فضل كبير على الصيدلة والكيمياء  
والنبات التي فاقوا غيرهم بها ، بدأوا بذلك في صدر الدولة العباسية .  
وكان حكام الانديس يعتنون بإدارة الصيدليات فيفحصون  
ادويتها ازالةً للغش ويسعرونها رفقاً بالفقير . وقد عني الافرنج  
بدرس تاريخ الصيدلة فتحققوا ان العرب هم واضعو أسس هذا  
الفن . وهم اول من اشتغل في تقطير الادوية والعقاقير فضلاً عما  
استنبطوه من الادوية الجديدة . وانهم اول من ألف الاقرباذين .  
وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان  
ودكاكين الصيدلة على اقرباذين ألفه سابور بن سهل حتى ظهر  
اقرباذين امين الدواة ابن التلميد . وهم اول من انشأ حوانيت  
الصيدلة . ومن اقرب الشواهد على ذلك اسماء العقاقير التي اخذها  
الافرنج عن العرب ولا تزال عندهم باسمائها العربية او الفارسية  
او الهندية كما اخذوها عن العربية .

ومن اشتهروا بفن الصيدلة ابو قريش عيسى الصيدلاني .  
فهذا كان في بغداد في عصر الخليفة المهدي ، ولم يكن ماهراً في  
صناعة الطب كالصيدلة ، انما تذكر له خبراً لطيفاً قد جنى من

ورائه خيراً ومالاً . قيل انه كان صيدانياً ضعيف الحال جداً ،  
فتشكت الخيزران حظية المهدي وكانت من مولدات المدينة ،  
فتقدمت الى جاريتها بان تخرج القارورة الى طبيب غريب لا  
يعرفها ، وكان ابو قريش بالقرب من القصر الذي للمهدي ، فلما  
وقع نظر الجارية عليه ارتته القارورة فقال لها : لمن هذا الماء ؟  
فقالت : لامرأة ضعيفة . فقال : لا بل ملكة جليلة الشأن وهي حبي  
بلك . وكان هذا القول منه على سبيل الرزق . فانصرفت الجارية  
من عنده واخبرت الخيزران بما سمعت منه ، فقرحت بذلك فرحاً  
شديداً وقالت : ينبغي ان تضعي علامة على دكانه حتى اذا صح  
قوله اتخذناه طبيباً لنا . ثم بعد مدة ظهر الحبل وفرح به المهدي  
فرحاً شديداً فانفذت الخيزران الى ابي قريش خلعتين فاخرقين  
وثلاث مئة دينار وقالت : استعن بهذا على امرك فان صح ما قلته  
استصحبناك . فتعجب ابو قريش من ذلك وقال : هذا من عند الله  
عز وجل لاني ما قلته للجارية الا وقد كان حاجساً من غير اصل .  
ولما ولدت الخيزران موسى الفادي سر المهدي سروراً عظيماً  
وحدثته الخيزران الحديث فاستدعى ابا قريش وناخطبه فلم يجد  
عنده علماً بالصناعة الا شيئاً يسيراً من امر الصيدلة ومع ذلك  
اتخذته طبيباً لما جرى منه واستصحبه واكرمه .

الكيمياء : ان العرب هم اول من استحضر المياه والزيوت

باستقطار العقاقير وصناعة التخدير والتصعيد التي اخذوها عن  
التتر. فهم الذين اسسوا الكيمياء الحديثة بتجارهم واستحضاراتهم.  
وان القوانين لثقل الاجسام مائعها وجامدها هي من اكتشافاتهم.  
واول من اشتغل في نقل الكيمياء الى العربية هو خالد بن الوليد  
نقلها عن مدوسة الاسكندرية .

وعنه اخذ جعفر الصادق وبعده جابر بن حيان ثم الكندي  
فابو بكر الرازي وغيرهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات  
الكيمائية التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة . وقد ذكر محققو  
الافرنج ان العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة « الحامض النتريك »  
وزيت الزاج « الحامض الكبريتي » وماء الذهب « الحامض  
النثرو هيدروكلوريك » واكتشفوا البوتاس وروح النشادر  
وملحه وحجر جهنم « نترات الفضة » والسلياني « كلوريد الزئبق »  
والراسب الاحمر « اكسيد الزئبق » وملح الطرطير وملح  
البارود « نترات البوتاس » والزاج الاخضر « كبريتات الحديد »  
والكحول والقلي والزرنيخ والبورق وغير ذلك ، على انه

---

١ اكتشاف زيت الزاج والكحول ابسو بكر الرازي . استحضر الاول  
باستقطار كبريتات الحديد واسمها الزاج الاخضر ، فاما استقطارها خرج منها سائل  
سماء زيت الزاج . واما الكحول فكان يستحضرها باستقطار مواد نشوية وسكرية  
مختمرة .

يُستدل على وجود بعض المركبات الكيماوية في ايامهم مما لم نر لهُ مثيلاً في تاريخ الكيمياء قبل اواخر القرن الماضي ، فقد اشار ابن الاثير الى ادوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ اذا طلي بها الحشب امتنع احتراقه . ومما يُعد من قبيل الكيمياء ايضاً البارود ، فقد ترجع بالبحث انهم هم الذين ركّبوه . وهم اول من استعصر السوائل والزيوت بالتقطير والترشيح والتصفيد ، والجوامد بالتبلور والتذويب . واول من استعمل السكر في الادوية وكان غيرهم يستعمل العسل . وهم ايضاً اول من جعل الكيمياء علماً باصول واول من كتب الوصفات على قاعدة . وكان لهم في الطب مدارس راقية .

**مدارس العرب :** لما تزعت نفوس العرب لآحراز المعارف انشأوا المدارس العديدة ودور الكتب لنشر الثقافة في جميع الاقطار العربية وجمعوا اليها العلماء . وكان اشهر مدارسهم ببغداد والبصرة وبنجاري في الشرق ، والقاهرة بمصر ، وسراکش وفاس ببلاد البربر . وكان بمدينة قرطبة وحدها من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة ، وبالقاهرة وحدها عشرون مدرسة منها الجامع الازهر الذي هو الآن مدرسة الاسلام العظمى بمصر ، ومدرسة دار الحكمة التي حملت اليها الكتب من الخزان والقصور ودخل اليها الناس وجلس فيها الفقهاء والمنجمون والنحاة واصحاب اللغة والاطباء .

اما مدارس الاندلسيين ومكتبة الخلفاء في قرطبة فقد كانت على غاية من الاتقان . فقصدها اهل اوروبا في القرون الوسطى لارتشاف العلم من مناهلها الغزيرة ثم تزودوه منها الى بلادهم .

ثم لما عرف ملوك الافرنج قيمة معارف العرب وما هم عليه من التمدن والرفق بواسطة الحروب الصليبية التي اثاروها عليهم اخذوا في اقتفاء آثارهم واتقان دراسة لغتهم ، وامروا بترجمة كتبهم الى لغاتهم الاوروبية . والحلاصة ان الافرنج نقلوا عن العرب ما نقله العرب عن غيرهم واستنبطوه هم انفسهم من علوم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافية والموسيقى والزراعة والفراسة . واخذوا عنهم عمل الورق والبارود والسكر والخزف وتركيب الادوية ونسج كثير من الاقمشة . وادخلوا دود القز على بلادهم وكثيراً من الجيوب والاشجار كالارز وقصب السكر والزعفران والقطن والرمان والتين . ونقلوا عنهم دبع الاديم وتجفيفه . فالى العرب اذا يرجع الفضل بحفظ تراث الاولين من علم وخبرة انتقلا بسعيهم الى اقطار الغرب . وهكذا لم يبق عند العرب من تلك المكاتب التي جمعوها والمدارس التي شيدها حتى ولا ذكرها .

فكان دولة علومهم كانت مرتبطة بدولهم السياسية التي منذ اخضاعوها اخضعوا كل هذه العلوم والمعارف معها، اذ انه لم تسقط

لهم دولة من دولهم سواء كانت في المغرب او في المشرق الا  
وهدمت جيوش اعدائهم مدارسها واشعلوا نيران حقدهم في  
مكاتبها .

ان هذا الطور من الاقبال على ترجمة فلاسفة العرب  
في اوروبا والاخذ عنهم قد بُني باهمال هذه الدراسات مدة، ثم  
بنهضتها وتشجيعها، والسبب في ذلك هو :

١ - وهو الالم، تدهور الثقافة والحضارة العربية اثر غزوات  
هولاكو خان وجيوشه من المغول وما تبع ذلك من خراب  
اجمل اصقاع العالم الاسلامي .

٢ - فقد ان الاندلس وانحلال قوة العرب وعلمهم في المغرب .  
٣ - ما كانت عليه حالة اوروبا واقطار البحر الابيض المتوسط  
من اضطراب وعدم استقرار، الامر الذي حال دون اي اتصال  
ثقافي او تجاوي مستمر بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامي .

٤ - فتح الاتراك القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ م وما ادى  
اليه هذا الفتح من ذهاب كثير من علماء تلك المدينة الى اوروبا  
القريبة واحياء الدراسة اليونانية القديمة .

ولكن ما اشرق القرن السادس عشر حتى تبدلت الاحوال  
واقبلوا على تشجيع الدراسات العربية في اوروبا واستؤنفت التجارة  
بين الغرب والشرق على منوال اعظم مما كانت عليه قبلاً .

ووجد التجار الاوروبيون انهم اينما منحروا عباب البحر مضطرون الى التعامل مع التجار العرب .

قال وليم بدول في سنة ١٦١٢ : ان اللغة العربية هي اللغة الوحيدة للدين واللغة الاساسية للسياسة والعمل من الجزائر الى بحار الصين ، ولذلك حرّض معاصريه على دراستها . وان انشاء شركة المتاجرة مع السواحل الشرقية للبحر الابيض جلب التجار الاوروبيين الى سواحل سوريا ومدنها حيث استكشفوا حضارة عربية لا تزال مزدهرة .

وقال العلامة ا.ج. ابروي الانكليزي :

اذا اعتبرنا ما بين انكلترا والعالم العربي من العلاقات الودية الطويلة في التجارة والثقافة ندرك ان الادب الانكليزي مرآة ينعكس عليها اهتمام الانكليز بالشؤون العربية واعجابهم بحضارة العرب ومدنيتهم . واذا درسنا بعناية العناصر العربية في الادب الانكليزي يبدو لنا بجلاء مبالغ تأثير هذه العناصر ومقدار ما كان لها من إلهام مشر وفهم عميق واتساع في الافق .

# حضارة العرب في اخلاقهم

والقائهم وامثالهم

اخلاق العرب وعاداتهم : انه كما كان في اخلاق العرب وعاداتهم مساويء قوتها بدواتهم كذلك كان في نفوسهم مكارم ومحاسن احييتها حضارتهم . والسبب في ذلك هو انهم في بدء جاهليتهم كانوا يسكنون في اراضٍ عقيمة مجدبة وليس لهم اذ ذاك حرفة يتعيشون منها الا النهب والسلب ، فكان لا يمكن للجواد منهم ان يتصدق بشيء اجل مما بذل نفسه لاجل الحصول عليه كحصة من طعامه وشرابه او بخلق بال من كسوته ، وكان متى فعل ذلك حق له ان يعتبر نفسه انه عمل عملاً عظيماً يفوق كل ما يمكن للانسان ان يجود به .

وما كانت اخلاقهم وعاداتهم في الكرم والجود والحلم والامانة والوفاء وحسن الجوار والضيافة والبر بالوالدين سوى مظهر من مظاهر حضارتهم التي ارتقوا اليها وعرفوا بها .

ولما جاء الاسلام انتقلت الامة العربية من طور البداوة الى طور الحضارة ، ومن ضيق العيش الى سعة ، فادى هذا الانتقال

والتغيير الى بذل الاموال الطائلة والتكريم بما فطرت عليه نفوسهم  
من التنافس في البذل والعطاء والمباهاة ليس فقط بمقادير تولهم  
المفرط بل بضروبه وظروفه لا سيما عندما سادوا البلدان والقرى  
وامتلكوا المدن والضياع الواسعة فارتقوا حينئذ الى اقصى  
درجات العمران والحضارة، وبلغ غناهم نقطة الافراط نظير بني  
امية والعباسيين ونوابهم الذين استقلوا بحجرات مملكتهم الكبيرة،  
وكانوا يهبون الولايات ويقطعون خدامهم ويتصرفون بالبدر من  
الاموال ولا يرون ذلك شيئاً .

وقد كانت اعطية بني امية في بدء الدولة الاسلامية  
الابل اخذاً بمذاهب العرب وبدائتهم ، فاذا حبوا حباءً جعلوا في  
اسنة هذه الابل ريش نعام ليُعرف انها حباء الملوكة . ثم صارت  
جوائز بني العباس والعباسيين من بعدهم احوال المال وتخوت الشياح  
واعداد الخيل بمواكبها . وهكذا كان شأن كتامة مع الاغالبه  
بافريقية ، وكذا مع بني طنج مصر ، وشأن لتونة مع ملوك  
الطوائف بالاندلس ، وشأن زنانة مع الموحديين ، لان الحضارة كانت  
تنتقل من الدول السالفة الى الدول الخالفة ، فانتقلت حضارة الفرس  
الى بني امية والعباسيين ، وانتقلت حضارة بني امية بالاندلس  
الى ملوك العرب من الموحديين وزنانة ، وانتقلت حضارة بني العباس  
الى الديلم ثم الى الترك ثم الى السلاجوقية ثم الى الترك المماليك

بمصر والتمر بالعراقين علي ما رواه ابن خلدون .

ألقابهم : ومما يدل على حضارتهم كثرة القابهم التي كانوا يطلقونها على بعضهم تعظيماً لقدر الرجل ومباهاةً وفخراً له أو للدم والاحتقار. لان الالقاب كانت عندهم على ثلاثة انواع : لقب تشريف ولقب تعريف ولقب تسيخيف ، وهذا الثالث قد نهي عنه . وكانوا يلقبون من يملكون في اليمن وهم حمير وحضر موت « تبعماً » كما كانوا يلقبون ملوك الحبشة « بالنعامنة او النعمان » وملوك الحِزور « بالملك » وملوك الصين « بالبغفور او الفغفور » وملوك فرغانة « بالاخشيد » وملك فارس « كسرى » وملك الترك « خاقاناً » وملك الروم « قيصرأ » وملك الشام « هرقلأ » وملك الحبشة « نجاشياً » وملك مصر « عزيزأ » والقبط « فرعونأ » وكانوا يسمون قواد البعوث « بالامراء »، وسمت الجاهلية صاحب الشريعة الاسلامية « امير مكة و امير الحجاز »، ثم تلقب خليفته ابو بكر « بالخليفة » وتلقب الخليفة عمر بعده « بامير المؤمنين » وتوارث هذا اللقب الخلفاء من بعده فصار ذلك علماً لهم .

وكانت الشيعة تخصُّ عليّاً ومن يتولى الخلافة بعده بلقب « الامام » الى ان استحدث الخلفاء العباسيون الاعلام حجاباً لاسمائهم فتلقبوا بالسفاح والمنصور والمهدي والمهادي والرشيد الى

آخر الدولة .

فاقتفى اثرهم في ذلك العبيديون بافريقية ومصر والامويون  
في بلاد الاندلس حيث تسمى عبد الرحمن الآخر بامير المؤمنين  
وتلقب بالناصر لدين الله .

وكان الخلفاء يلقبون الملوك الذين تحت رئاستهم بالقباب  
تشريفية مثل شرف الدولة وركن الدولة وعضد الدولة ونظام  
الملك وذخيرة الملك ، ويخاطبونهم في المراسيم التي يبعثون بها  
اليهم بالجناب الرفيع الخاقاني او الجناب العالي الشاهستاني . واما  
السلاطين فكانوا يكتبون في الامضاء على معروضاتهم للخلفاء  
خادمك المطواع فلان ، او عبدك فلان ، والخطاب بعد ذلك سيدنا  
ومولانا امير المؤمنين وامام المسلمين وخليفة رب العالمين قدوة  
المشارك والمغارب المنيف على الذروة العليا ابن لؤي بن غالب .  
وهكذا بعد الاسلام ايضاً ، فان ابا بكر لقب بالصديق لشدة  
صدقه . ولقب عمر بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل . ولقب  
عثمان بن عفان بندي الثورين لانه تزوج بنتي صاحب الشريعة  
الاسلامية . ولقب علي بن ابي طالب بحيدرة ، لقبته امه بذلك ،  
ومنه الحديث « انا مدينة العلم وحيدرة بابها » .  
ولقب عبد الملك بن مروان « برشح الحجر » و « ابي ريان »  
لبخله وبخره .

ولقب الفضل بن سهل بذي الرئاستين لانه دبّر أمرَ السيف  
والقلم يعني رئاسة الجيوش ورئاسة الدواوين. ولقب عبد الله بن  
طلحة بطلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه .

ودعي عكرمة بن ربيعي « بالفياض » ايضاً لكرمه وجوده .  
ولقب عبد الله بن عباس « بالخبر » لعلمه . ونحو ذلك . وقيل  
من وجد في الجامعة والاسلام وليس له لقب .

## حضارة العرب في الامثال السائرة

ان الامثال فائدة لا تُنكر لصدورها عن مختلف طبقات الشعب . فكما كان الشعر عند العرب ديواناً لاختبارهم ومرآةً لآخلاقهم كانت الامثال التي يضربونها في كل عصر وقطر عنواناً لآدابهم ودليلاً ساطعاً على نبوغهم وحضارتهم .

فالمثل في الاصل هو جملة مقتطعة من القول في واقعة حال تُنقل عما وردت فيه الى مشابه من غير تغيير . وتمثل البلاغة والايجاز وقوة التعبير . وفائدتها معرفة احوال العرب وآخلاقهم .

وبما ان هذه الامثال التي طالما كانوا يحتاجون اليها في تحقيق الفاظ لغتهم هي من حِكْمِهِمْ في الجاهلية والاسلام ، وعظات بالغة من ثمار عقولهم واختبارهم ، توى كثيرةً يضيق عن استيعابها هذا التأليف الموجز ، رأينا ان ثبت منها من كل حرف من حروف الهجاء مثليين يكونان اكثر شهرةً وواقع حالةً ونتيجة ختام لبحثنا هذا عن الحضارة العربية المقصودة .



١ - « إِنَّ وَرَاءَ الْاَكْمَةِ مَا وَرَاءَهَا »

اصله : ان امةً واعدت صديقها ان تأتيه وراء الاكمة

إذا فرغت من مهنة أهلها، فشفلوها بالعمل فقالت : حبستوني وان وراء الأكمة ما وراءها .

يُضْرَبُ : لمن يفشي على نفسه امرأً مستوراً .

•

٢ - « إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهُ »

أصله : مرَّ سهل بن مالك الفزاريّ بجيِّ حارثة بن لأم الطائي فلم يره . وقد رأى اخته أجمل امرأة وكانت عقيلة قومها، فعلق بها فقال يعرض بذلك :

يا اختَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَةِ  
كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فِتَى كَفْزَارِهِ

أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهُ  
إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهُ

فلما سمعت ذلك عرفت انه يعنيها فقالت : ما ذا بقول ذي عقلٍ اريب ولا رأيٍ مصيب، فأقم ما اقامت مكرماً ثم ارنحل متى شئت مسلماً . واجابته بقولها :

اني اقول يا فتى كفزاره  
لا ابتغي الزوج ولا الدُّعَارَهُ

ولا قرانَ اهل هذي الجاره  
فارحلُ الى اهلك باستخاره

فاستجيا وقال : ما اردتُ منكرًا واسوءَ تاهُ . قالت : صدقت .  
كأنها استجيت من تسرعها الى تهمة . ثم اتى النعمان فحياها  
واكرمه فعاد ونزل على اخيها فتطلعت اليه نفسها وكان جميلًا ،  
فارسلت اليه أن اخطبني ان كان لك الي حاجة . فخطبها وتزوجها  
وسار بها الى قومه .

يضرب : لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره .

٣ - « بَعْدَ اللَّتْيَا وَالتِّي »

اصله : ان رجلاً من جدس نزوج امرأة قصيرة فقاسى منها  
الشدائد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، فتزوج امرأة طويلة فقاسى  
منها ضعف ما قاسى من الصغيرة ، فطلقها وقال : بعد اللتيا والتي  
« اي الداهية الكبيرة والصغيرة » لا اتزوج ابداً .  
يضرب : لخطا التدبير في المعيشة .

٤ - « أَبْطَأَ مِنْ فِينْدٍ »

اصله : ان فند صاحب عائشة بنت سعد بن ابي وقاص

ارسلته عائشة ذات يوم ليأتيها بشعلة نار من بيوت الجيران .  
فوجد قوماً ذاهبين الى مصر فتبعهم من فورده واقام هناك سنة  
ثم قدم ، ولما دخل الحي اخذ ناراً وجاء يعدو الى بيت عائشة ،  
فعثر بحجر هناك ، وتبددت النار التي كان قد اتى بها ، فقال :  
تعسست العجولة ! وفيه يقول الشاعر :

ما رأينا لفرابٍ مثلاً  
ان بعشناهُ يجيءُ بالمشملتهُ  
غيرَ فندِ ارسلتهُ قابساً  
فشوى حولاً وسبَّ العجَلتهُ

والمشملة كساء يُتدثر به . و غراب اسم رجل ارسلوه  
ليأتيهم بها فابطأ . فقال بعضهم البيتين مشبهاً اياه بفند هذا  
المذكور .

يضرب : في الابطاء بالعمل .

٥ - « أتبيع الفرسَ لجامها والناقةَ زمامها »

اصله : ان خوار بن عمرو اغار على حي عمرو بن ثعلبة  
الكلبي وكان غائباً ثم حضر فتبعه ولحقه قبل ان يصل الى ارضه .  
فقال عمرو : ردّ عليّ اهلي ومالي . فردهما عليه فقال : ردّ عليّ

قياني . فردّ قينتهُ الرائعة وحبس ابنتها سلمى فقال له عمرو حينئذٍ :  
ويحك يا ابا قبيصة ! اتبع الفرسَ لجامها .  
يضرب : للرجل يؤمر بودّ الصنيفة واتمام الحاجة .

٦ - « تجاوزت شبيثاً والأحص »

شيث ماء لبني الاضبط ببطن الجُريب . والاحص موضع  
هناك .

اصلهُ : قاله جساس لكليب حين طعنه ، فقال كليب : اغثني  
بشربة ماء . فقال : تجاوزت شبيثاً والاحص . يعني ليس حين  
طلب الماء .

يضرب : لمن يطلب شيئاً في غير وقته .

٧ - « تُكَلُّ أَرَامَهَا وَلِدَاءً »

اصلهُ : من قول بيّهس الملقب بنعاممة لأُمته حين رجع  
اليها بعد اخوته الذين قُتلوا . وكان من حديثه انه كان سابع  
سبعة اخوة من بني فزارة بن ذبيان ، فاغار عليهم ناسٌ من اشجع  
بينهم وبينهم حربٌ وهم في ابلهم فقتلوا منهم ستة وبقي  
بيّهس وكان يحمق وهو اصغرهم فارادوا قتله . ثم قالوا : وما

تريدون من قتل هذا ؟ بحسب عليكم برجل ولا خير فيه . فتركوه  
 فقال : دعوني اتوصل معكم الى الحي فانكم ان تركتموني وحدي  
 اكلتني السباع وقتلني العطش . ففعلوا فاقبل معهم . فلما كان من  
 الغد نزلوا فنحروا جزوراً في يوم شديد الحر فقالوا : ظللوا  
 لحكم لئلا يفسد . فقال بييس : لكن بالاثلاث لحم لا يُظلل ،  
 يريد لحم اخوته المقتولين ، فذهبت مثلاً . فلما قال ذلك قالوا : انه  
 لمنكر ! وسموا بقتله ثم تركوه وظلوا يشوون من لحم الجزور  
 وياكلون فقال احدهم : ما اطيب يومنا وانصبه ! فقال بييس : لكن  
 على بلدح قوم عجفي ، يريد على المكان الذي يقال له بلدح  
 قوم ضعفاء وهم اخوته ، فارسلها مثلاً . ثم انشعب طريقهم فاتي  
 امه فاخبرها الخبر . قالت : فماذا جاءني بك من بين اخوتك ؟  
 فقال بييس : لو خيَّرت لاخترت ، فذهبت مثلاً . ثم انها عطفت  
 عليه ورقت له فقال الناس : لقد احبت ام بييس بييساً . فقال :  
 تكلن ارامها ولداً ، اي عطفها على ولد ، فارسلها مثلاً .  
 يضرب : للرجل يحفظ خصيس ما لديه بعد فقد النفيس .

« جاء ابوها برطاب »

— ٨

اصله : من قول شيمم بن ذي النابيين العبدي ، وكان فيه  
 فشل وضعف رأي ، فاتي ارض النبط في نفر من قومه فهوي

جاريةٌ نبيطيةٌ حسناء فتزوجها فنهاه قومه ولاموه . ثم اتى بها  
قومه وما فيهم الا ساخرٌ منه لا ثم له ، فلما رأى ذلك انشأ يقول :

ألم تراني ألامُ على نكاحي  
فتاةً حبها دهرًا عناني

رمتني رميةً كلمت فؤادي  
فأوهى القلبَ رميةً من رماني

فلو وجد ابن النابئ يوماً  
باخرى مثل وجدني ما هجاني

ولكن صدَّ عنه السهم صدًّا  
وعن عرضٍ على عمدٍ اتاني

فكفوا عنه . ثم زاره أبوها برطبٍ وتمرٍ فاعجب شيمهم  
حلاوته فخرج الى نادي قومه وقال :

ما وراء القوم في جمع الندى  
ولقد جاء أبوها برطبٍ

يُضرب : لمن يرضى باليسير الحقير .

أصله : أول من قاله ملك من ملوك حمير كان غنياً على أهل مملكته يفضيهم أموالهم ويسلبهم ما في أيديهم . وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه فلا يحفل بذلك . وإن امرأته سمعت أصوات السؤال فقالت : اني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن في العيش الرغد ، واني لأخاف عليك ان يصيروا سباعاً وقد كانوا لنا اتباعاً . فرد عليها : جوع كلبك يتبعك ، وارسلها مثلاً . فلبث بذلك زماناً ثم اغزاهم فغنموا ولم يقسم فيهم شيئاً . فلما خرجوا من عنده قالوا لآخيه وهو أميرهم : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك منكم أهل البيت الى غيركم ، فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه . فاجابهم الى ذلك فوثبوا عليه فقتلوه ، فمر به عامر بن جذيمة فتذكر قوله « جوع كلبك يتبعك » فقال : ربما اكل الكليب مؤدبه اذا لم ينل شعبه ، فارسلها مثلاً .  
يُضْرَبُ : في معاشره اللئام وما ينبغي ان يُعاملوا به .

حال منع . والجريض العصه من الجرّاض وهو الرقيق ينقص به . والقريض الشعر .

اصلهُ : ان رجلاً كان له ابنٌ نبيغ في الشعر فنهاهُ ابوهُ عنه  
فجاش به صدرهُ ومرض حتى اشرف على الهلاك فاذن له في قول  
الشعر فقال المثل . اي ان غصة الموت حالت بينهُ وبين قول  
الشعر . وقيل انه لعبيد بن الابرص قالهُ للمنذر بن ماء السماء  
لما اراد قتلهُ . فقال له : انشدني من قولك . قال : حال الجريض  
دون القريض .

يضرب : الامر يُقدر عليه اخيراً حين لا ينفع . ويضرب  
لامرٍ يعوق دونهُ عائق .

١١ - « حَمِيمُ الْمَرْءِ وَاصْلُهُ »

اصلهُ : ان اول من قال ذلك الخنابس بن المقنّع وكان  
سيداً في زمانه . وان رجلاً من قومه يقال له كلاب بن فارع كان  
في غنمٍ له يحميها ، فوقع فيها لبيثٌ ضارٌّ وجعل يحطمها ، فانبرى  
كلاب يذب عنها فيحمل عليه الاسد فيخبطه بمخالبه خبطةً  
فانكب كلاب وجثم عليه الاسد فوافق ذلك من حاله رجلان :  
الخنابر بن مرّة وآخر يقال له حوشب .

وكان الخنابر حميم كلاب فيجاد عنه لقريبه وخذله واعانه  
حوشب فيحمل على الاسد وهو يقول :

أَعْتَبَهُ إِذْ خَذَلَ الْخَنَابِرُ  
وَقَدْ عَلَاهُ مُكْفَهَرٌ خَادِرُ

هَرَامِسٌ جَهْمٌ لَهُ زَمَاجِرُ  
وَنَابَهُ حَرْدًا عَلَيْهِ كَاشِرُ

أَبْرُزُ فَنَانِي ذُو حَمَامٍ حَاسِرُ  
أَنِي بِهَذَا أَنْ قَتَلْتُ ثَابِرُ

فَعَارِضُهُ الْأَسَدُ وَأَمَكُنْ سَيْفُهُ مِنْ حَضْنِيهِ فَمَرٌّ بَيْنَ الْأَضْلَاعِ  
وَالْكَتْفَيْنِ فَنَخْرٌ صَرِيحًا . وَقَامَ كَلَابٌ إِلَى حَوْشِبٍ وَقَالَ : أَنْتَ  
حَمِيمِي دُونَ الْخَنَابِرِ .

وَأَنْطَلَقَ كَلَابٌ بِحَوْشِبٍ حَتَّى أَتَى قَوْمَهُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ حَوْشِبٍ  
يَقُولُ : هَذَا حَمِيمِي دُونَ الْخَنَابِرِ . ثُمَّ هَلَكَ كَلَابٌ بَعْدَ ذَلِكَ ،  
فَانْتَصَمَ الْخَنَابِرُ وَحَوْشِبٌ فِي تَرْكِهِ فَقَالَ حَوْشِبٌ : أَنَا حَمِيمُهُ  
وَقَرِيبُهُ . فَلَقَدْ خَذَلْتَهُ وَنَصَرْتَهُ . وَقَطَعْتَهُ وَوَصَلْتَهُ . وَصَمَمْتَهُ  
عَنْهُ وَأَجَبْتَهُ . وَاحْتَكَمْنَا إِلَى الْخَنَابِرِ فَقَالَ : وَمَا كَانَ مِنْ  
فُصْرَتِكَ أَيَاهُ ؟ فَقَالَ :

أَجَبْتُ كَلَابًا حِينَ عَرَّدَ إِلْفَهُ  
وَنَخَلَاهُ مَكْبُوبًا عَلَى الْوَجْهِ نَخْبِرُ

فلمّا دعاني مستغيثاً اجبته  
عليه عبوسٌ مكفهرٌ غضنفرٌ

مشيت اليه مشيَ ذي العزّ إذ غدا  
واقبل مختالَ الخطى يتبخترُ

فلمّا دنا من غرب سيفي حبوتُه  
بابيضَ مصقولِ الطرائق يزهرُ

فقطّع ما بين الضلوع وحضنه  
إلى حضنه الثاني صفيحٌ مذكرُ

فخرٌ صريعاً في التراب معقراً  
وقد زار منه الأرضَ انفٌ وميشفرُ

فشهد القوم ان الرجل قال : هذا حميمي دون الخنابر . فقال  
الخنابيس عند ذلك : حميم المرء واصلُه . وقضى لحوشب بتركه  
وسارت كلمته مثلاً .

يضرب : لارجل يعجب باهله . وللقوم يمدحون اخاهم ويعجبون به .  
ومثله قول العامة : ما يمدح العروس الا اهلها .

•

١٢ - « نخذ من جذع ما أعطاك »

اصله : جذع اسم رجل . يقال له جذع بن عمرو الفسائي .

وكانت غسان تؤذي كل سنة الى ملك سليع دينارين من كل رجل . وكان الذي يلي ذلك سبطة بن المنذر السليحي ، فجاء سبطة الى جذع يسأله الدينارين ، فدخل جذع منزله ثم خرج مشتملاً على سيفه فضرب به سبطة حتى برد ثم قال : خذ من جذع ما اعطاك .

وامتنعت غسان من هذه الاتاة بعد ذلك .

يُضْرَبُ : في اغتنام ما يجود به البخيل .

١٣ - « خُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطَيْ مَارِيَةَ »

اصله : هي مارية بنت ظالم بن وهب . واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار الكندي وهي أم ولد جفنة . يقال انها اهدت الى الكعبة قرطيبها وعليهما درتان كبيضتي حمام لم ير الناس مثلهما ولم يدروا ما قيمتهما .

يُضْرَبُ : في الشيء الثمين . اي لا يفوتك باي ثمن يكون .

١٤ - « ذَكَرَنِي فُوكِ حَمَارِيْ اَهْلِي »

اصله : ان فتى خرج يطلب حمارين ضلّ له فرأى امرأة

مُتَنَقِّبَةً جَمِيلَةً فِي النَّقَابِ فَأَعْجَبْتَهُ حَتَّى نَسِيَ الْحَمَارَيْنِ . فَلَمْ يَزَلْ  
يَطْلُبُ إِلَيْهَا حَتَّى سَفَرَتْ لَهُ فَأَظَاهَا فِي فَوْهَاءِ ، فَبَحِنَ رَأْيَ اسْنَانِهَا  
ذَكَرَ الْحَمَارَيْنِ فَقَالَ ذَلِكَ . وَخَلَا عَنْهَا وَانْشَأَ يَقُولُ :

لَيْتَ النَّقَابَ عَلَى النِّسَاءِ مُحْرَمٌ  
كَيْ لَا تَغُرُّ قَبِيحَةَ إِنْسَانَا

يَضْرِبُ : لِلْمَغْرُورِ يَسْتَبْصِرُ بَعْدَ غَفْلَتِهِ فَيُرْعَوِي .

١٥ - « ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيَا »

أَصْلُهُ : مِنْ قَوْلِ رُهَيْمِ بْنِ حَزْنِ الْمَلَالِيِّ . وَكَانَ انْتَقَلَ  
بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ مِنْ بَلَدِهِ يَرِيدُ بَلَدًا آخَرَ ، فَأَعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ  
فَعَرَفُوهُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُمْ ، فَقَالُوا لَهُ : خَلِّ مَا مَعَكَ وَانْجِبْ . قَالَ لَهُمْ :  
دُونَكُمْ الْمَالُ وَلَا تَعْرَضُوا لِلْحَرَمِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ  
تَفْعَلَ ذَلِكَ فَآتِنِي رِمْحًا . فَقَالَ : وَإِنْ مَعِيَ رِمْحًا ، فَشَدُّ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ  
يَقْتُلُهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَهُوَ يَقُولُ :

رَدُّوا عَلَيَّ أَقْرَبَهَا الْإِقَاصِيَا

إِنَّهَا بِالْمَشْرِفِيِّ حَادِيَا

ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيَا

يَضْرِبُ : فِي تَذْكَرِ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ .

١٦ - « رَبِّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ »

اي رب رمية مصيبة حصلت من رام مخطيء .  
اصلها : من قول الحكم بن عبد يغوث المنقري ، وكان ارمى  
اهل زمانه ، فانه ' آلى يميناً لينبجن ' على الغيبغب مهابةً ، فحمل قوسه  
وكنانته فلم يصنع يومه ذلك شيئاً ، فرجع كئيباً حزيناً وبات  
ليلته على ذلك ، ثم خرج الى قومه فقال : ما انتم صانعون ؟ فاني  
قاتل نفسي اسفاً ان لم اذبحها اليوم . فقال له اخوه ' الحصين : يا  
اخي اذبح مكانها عشراً من الابل ولا تقتل نفسك . قال : لا  
واللات والعزرى لا اظلم عاثرة واترك النافرة . فقال ابنه ' المطعم :  
يا ابي احملني معك ارفدك . فقال له ' ابوه : وما احمل من رعى ،  
وهل جبان فشل ؟ فضحك الغلام وقال : ان لم تر اوداجها تخلط  
امشاجها فاجعيني وداجها . فانطلقا فاذا هما بمهابة فرماها الحكم  
فاخطأها ، ثم مرت به اخرى فرماها فاخطأها ايضاً ، فقال : يا ابي  
اعطني القوس ، فاعطاه فرماها فلم يخطئها . فقال ابوه : رب رمية  
من غير رام .

يضرب : للمخطيء ، يصيب احياناً .

١٧ - « رَبِّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي »

اصلها : ان ملكاً من ملوك حمير خرج متصيداً ومعه نديم

له كان يقربه ويكرمه ، فاشرف على صخرةٍ ملساء ووقف عليها  
فقال له النديم : لو ان انساناً ذبح على هذه الصخرة الى ابن كان  
يبلغ دمه ؟ فقال الملك : اذبحوه عليها ليرى دمه ان يبلغ . فذبح  
عليها .

فقال الملك : رب كلمةٍ تقول لصاحبها دعني .  
يُضرب : في النهي عن الاكثار مخافة الابهجار .

١٨ - « زَيْنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَوَالِدُ »

اصله : مرّ اعرابيٌّ ينشد ابناً له فقيل له : صفه لنا . فقال :  
دنينير . قال فمضى فجاء بجعل في عنقه فقيل له : لو قلت هذا  
لدلناك عليه . قال فانشدنا :

نعم ضجيع الفتى اذا برد اللب لـ سُجَيْرًا وَقَفَقَفَ الصُّرَدُ  
زَيْنَهُ اللهُ فِي الْفُؤَادِ كَمَا زَيْنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَوَالِدُ  
يُضرب : في عجب الرجل برهطه وعتوته .

١٩ - « أَزُورُ أَحْمَأَيَّ لِيَعْرِفُونِي »

اصله : من قول امرأةٍ خرجت الى احماها في اسبوعها  
فانسبت على خروجها فقالت ذلك كأنها تهديدتهم وتهزأت بهم .  
يُضرب : لمن حذر فلم يحذر .

أصله : لضبّة بن أدّ بن مضر . وكان له ابنان سعد وسعيد  
 خرجا في طلب ابلٍ فلما كتفرفقا . فوجدها سعد فردها ومضى  
 سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب . وكان على الغلام بُردان  
 فسأله الحارث اياهما فأبى عليه فقتله واخذها . فكان ضبة اذا  
 امسى ورأى تحت الليل سواداً قال : « أسعد ام سعيد؟ » فذهب  
 قوله مثلاً . يضرب في النجاح والحيلة . ثم ان ضبة صحح فوافى  
 عكاظ فلقي بها الحارث بن كعب وعليه بُردا ابنه سعيد فقال  
 له : هل انت مخبري ما هذان البردان؟ قال : بلى ، لقيت غلاماً هما  
 عليه فسألتهم اياهما فأبى فقتلته واخذتهما . فقال ضبة : بسيفك هذا؟  
 قال : نعم . قال : اعطينيه انظر اليه فاني اظنه حارماً . فاعطاه  
 الحارث سيفه فلما اخذه من يده هزّه وقال : « الحديد ذو  
 شجون . » ثم ضربه به حتى قتله فقبل له : يا ضبة أفى الشهر الحرام؟  
 فقال : سبق السيف العدل . وهو من سارت عنه هذه الامثال  
 الثلاثة .

يضرب : لما قد فات . وللامر الذي لا يُقدر على رده .

المعنى : استنّ الفصيل اذا جرى في نشاطه على سننه في جهةٍ

واحدة. والفصيل ولد الناقة اذا 'فصل عن امه'، وجمعه 'فصال  
وفصالان. والقرعى جمع قرىع مثل رضى ومريض، وهو الذي  
به قرع وهو بثرة ابيض يخرج بالفصال.

يُضْرَبُ: للذي يتكلم مع من لا ينبغي ان يتكلم بين يديه  
لجلالة قدره.

ويُضْرَبُ للذي يفعل شيئاً ليس باهلٍ لفعله.

٢٢ - « شَاكِيَهُ اَبَا يَسَارِ »

اصله: ان رجلاً كان يعرض فرساً له على البيع. فقال له  
رجل اسمه 'أبو يسار': أهذه فرسك التي كنت تصيد الوحش عليها؟  
فقال صاحب الفرس: شاكيه ابا يسار. يعني اقصد في مدحك  
وقارب الموصوف وشابهه.

يُضْرَبُ: لمن يبالغ في وصف الشيء.

٢٣ - « شَعَبَتِ قَوْمِي شَعُوبٌ »

المعنى: شعبت فرقت. وشعوب اسم للمنية لانها تشعب  
بين الناس اي تفرقت.

يُضْرَبُ: عند تفرق القوم.

٢٤ - «صَرَّحَ الْمَعْضُ عَنْ الزَّبْدِ»

المعنى : صرَّحَ بيِّن . و امرٌ صرَّاح اي منكشف ظاهر .  
والصرَّيح من اللبن المعض الخالص الذي لا رغوة فيه . ثم قالوا  
لكل شيء خالص صريح .

يضرب : للامر الذي انكشف وتبيَّن .

٢٥ - «صَفَّقَةَ لَمْ يَشْهَدَهَا حَاطِبٌ»

اصله : حاطب بن ابي يَلْتَعَةَ . وكان حازماً خبيراً . اذا  
باع بعض قومه واشترى جعل ذلك على يده لئلا يُغبن فيه .  
فباع بعض امانه بيعةً ليست عن يده فغبن فيها فقليل : هي صفقة  
لم يشهدها حاطب .

يضرب : للامر يغيب عنه البصير به ، فيجري على غير وجهه .

٢٦ - «ضَرَبَ أَخْمَاساً لِأَسْدَاسٍ»

المعنى : ضرب بيِّن واطهر . والاعماس والاسداس هما من  
اعضاء الابل . والاصل فيه ان الرجل اذا اراد سفراً بعيداً عود  
إبله ان تشرب خمساً ثم سدساً حتى اذا اخذت في السير صبرت

عن الماء . ومعنى المثل هنا رقتى ابله من الخمس الى السدس .  
يُضْرَبُ : للمكار يُظْهِرُ شَيْئاً وَيُرِيدُ غَيْرَهُ .

٢٧ - « ضِعْفٌ عَلَى إِبَالَةٍ »

المعنى : الابالة الحزمة من الخطب . والضغث قبضة من  
حشيش ذات رطب ويابس ومعناه بليّة على اخرى .  
يُضْرَبُ : لمن حمّلك مكروهاً ثم زادك عليه .

٢٨ - « اطْرُقِي وَمَيْشِي »

المعنى : اصلحي وافسدي ولا يكون فعلك كله فساداً .  
والطرق ضرب الصوف بالمطرقه او العصا ، والميش خلط الشعر  
بالصوف او خلط الصوف الحديث بالصوف العتيق .  
يُضْرَبُ : لمن يخلط في كلامه بين خطايا وصواب .

٢٩ - « اطْرُقِ كَرّاً إِنْ النِّعَامَةَ فِي الْقُرَى »

المعنى : اطرق اي غض من اطراق العين وهو خفض  
النظر . والكرا من الكروان وقيل مرخمه ، وهو طائر شبيه  
البطة لا ينام بالليل فسمي بضده من الكرى .

يُضْرَبُ : للذي ليس عندهُ غناءُ ويتكلمُ فيقال لهُ : اسكت  
وتسوّقُ انتشارُ ما تلفظُ بهِ كراهةُ ما يتعقبهُ . وقولهم : ان النعمةُ  
في القرى ، اي تأتيك فتدوسك باخفافها .

٣٠ - « ظُنُّوا بني الظنَّانَةَ »

الظنَّانَةُ : المرأةُ التي تحدّثُ بما لا علمُ لها بهِ .

اصلهُ : ان رجلاً غاب لهُ اخٌ وبقي لهُ اخوةٌ مقيمون  
فاستبطأوهُ فقال احدهم : ظُنُّوا بني الظنَّانَةَ . فقال احدهم : اظنهُ  
لقيهُ ذو النبالَةِ الكثيرةُ فقتلهُ ، يعني القنفذ . وقال الآخرُ : اظنهُ  
لقيهُ الذي رمحهُ في استه فقتلهُ ، يعني اليربوع . وقال الآخرُ : اظنهُ  
لقيتهُ جَحْمَةً عَيْنينِ فاكته ، يعني الارنب . وقال الآخرُ : اظنهُ  
اضطرهُ السيلُ الى جرثومةٍ فمات من العطش .

يُضْرَبُ : عند الحكم بالظنون .

٣١ - « ظَمَأٌ قَامِيحٌ خَيْرٌ مِنْ رِيٍّ فَاصِحٌ »

المعنى : القامِيحُ من الابل الذي قد اشتد عطشهُ . ويُرَوى  
ظمأٌ فادحٌ ، والفاصحُ المتقل . يقال فدحهُ الدين اي اثقلهُ .  
والفضحُ انكشافُ الامر وظهورهُ . يقال فضح الصبح اذا بدا .  
يضربُ : في القناعة وكتمان الفاقة .

ويضرب ايضاً في وجوب صون العرض وان احتُملت فيه  
المشاق . وتجنُّب الفضيحة وان قرن بها العيش البارد .

•

٣٢ - « عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى »

المعنى : اذا سرى القوم بالليل قطعوا ارضاً كثيرة . والارض  
تطوى بالليل لمن يمشيها فاذا اصبحوا حميدوا سراهم .  
يضرب : للرجل يجتمل المشقة رجاء الراحة .

•

٣٣ - « عِشْ رَجَبًا تَرَ عَجَبًا »

اصله : ان الحارث بن عباد طلق بعض نسائه بعدما  
اسنَّ وخرف فخلف عليها بعده رجل كانت تُظهر له من الوجد  
ما لم تكن تُظهره للحارث ، فلقي الحارث فاخبره بمنزلته منها ،  
فقال الحارث : عِش رَجَبًا تَرَ عَجَبًا .

يضرب : في تحوُّل الدهر وتقلبه .

•

٣٤ - « غَمَرَاتٌ ثُمَّ يَنْجَلِينَ »

المعنى : الغمرات الشدائد . يقول اصبر في الشدائد فانها

تنجلي وتذهب ويبقى حسن اثرك في الصبر عليها .  
يضرب : في احتمال الامور العظام والصبر عليها .

٣٥ - « غَرَّني بُرْدَاكَ مِنْ خَدَايَ »

الخدافل هي الخلقان . ولا واحد لها .  
اصله : ان امرأة رأت على رجل بُردين فتزوجته طامعةً  
بيساره فآلفته معسراً .

يضرب : لمن ضيع ماله طمعاً بما لغيره .

٣٦ - « فِي بَطْنِ زَهْمَانَ زَادُهُ »

اصله : ان رجلاً نحر جزوراً فقسمها فاعطى كلبه « زعمان »  
نصيبه . ثم رجع زهمان ليأخذ ايضاً مع الناس فقال صاحب  
الجزور : في بطن زهمان زاده .

يضرب : للرجل يطلب الشيء وقد اخذه مرة .

٣٧ - « فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ »

اصله : ان عمرو بن عدس تزوج دختنوس بنت لقيط  
وكان شيخاً كبيراً فتركته فطلقها في الصيف فتزوجها فتى جميل

الوجه ، واجدبت فبعثت الى عمرو تطلب منه حلوبةً فقال : في  
الصيفِ ضبعتِ اللبن .

يضرب : لمن يطلب شيئاً قد فوّتهُ على نفسه .

٣٨ - « قَطَعَتْ جَهِيْزَةٌ قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ »

اصلهُ : ان قوماً اجتمعوا يخاطبون في صلح بين حين قتل  
احدهما من الآخر قتيلاً . فبينما هم في ذلك اذ جاءت امةٌ يقال  
لها جهيزة او جهينة فقالت ان القاتل قد ظفر به بعض اولياء  
المقتول فقتله . فقالوا : قطعت جهيزة قول كل خطيب ، اي قد  
استغني عن الخطيب .

يضرب : لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقةٍ يأتي بها .

٣٩ - « قَدْ اسْتَسْنُوَقَ الْجَمَلُ »

اصلهُ : لطرفة بن العبد وقد كان عند بعض الملوك والمسيب  
ابن عانس ينشد شعراً في وصف جمل ثم حوَّلهُ الى نعت ناقة  
فقال طرفة : قد استسئوق الجمل ( اي صار ناقةً ) .  
يضرب : للمُخْلِط الذي يكون في حديثٍ ثم ينتقل الى  
غيره ويخلطه به .

٤٠ - « كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبةٌ »

اصلهُ : من قول العجفاء بنت علقمة السعديَّة . وذلك  
انها خرجت مع ثلاث نسوةٍ من قومها الى روضةٍ غناء ، فلما  
جلسنَ قلنَ : ايُّ الرجال افضل ؟ قالت احداهن : خيرهم الحظي  
الرضي غير الخطال ( اي المقتر ) ولا التبال . وقالت الثانية :  
خيرهم السيد الكريم ذو الحلب السيم والمجد القديم . وقالت  
الثالثة : خيرهم السيخي الوفي الرضي الذي لا يغير الحرة ولا يتخذ  
الضرة . وقالت الرابعة : واييكن ان في ابي لنفتكن كرم  
الاخلاق والصدق عند التلاق ويحمده اهل الرفاق . فقالت العجفاء  
عند ذلك : كل فتاةٍ بأبيها معجبةٌ .

يضرب : في عجب الرجل برأيه وعشيرته .

٤١ - « كعجيرة أم عامر »

اصلهُ : ان قوماً كانوا في الصيد فطردوا الضبع حتى  
الجأوها الى نخباء اعرابي فمنعهم منها وحلب لها وقدم لها ماءً  
وحليباً ، فولغت في ذلك حتى استراحت ، ثم نام الاعرابي فبقرت  
بطنه وشربت دمه وتوكلته . فاقتفى اثرها ابن عم له فادركها  
وقتلها وانشد ابياتاً في ذلك هي مغزى لما يضرب به هذا المثل .  
فمنها :

ومن يصنع المعروف مع غير اهله  
يلاقى الذي لاقى مجير أم عامر

•

٤٢ - « لكل قوم في بعيرهم خبر »

أصله : من قول عمر في العلباء بن الهيثم السدوسي وقد  
وفد عليه بهيمة رثة وكان دميماً أعور ، فلما كلمه أعجب بجودة  
لسانه وحسن بيانه فقال : لكل قوم في بعيرهم خبر . أراد ان  
قومه لم يسودوه الا لمعرفةهم به .

يضرب : في معرفة القوم بصاحبهم دون الاجانب .

•

٤٣ - « ليس هذا بعُشك فادرُجي »

المعنى : اي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق فدعيه .  
ودرج مشى ومضى .

يضرب : لمن يرفع نفسه فوق قدره . ولمن يتعرض الى  
شيء ليس منه .

•

٤٤ - « ما يعرف قطّاته من لطاته »

القطاة الردف . واللطاة الجبهة .

يضرب : للاحمق الذي لا يعرف من حمقه مؤخرته من  
مقدمه .

٤٥ — ما أَرُخَّصَ الْجَمَلُ لَوْلَا الْبِرَّةُ »

اصله : ان رجلاً ضلَّ له بعير فاقسم لئن وجدته ليبيعه بدينار  
بدرهم . فاحسبه ، فندم ، فربط في عنقه هرّةً وجعل ينادي : الجمل  
بدرهم والهرّة بالف درهم ولا ابيعهما الاً معاً . فقيل المثل .  
يضرب : في النفيس والحسيس يقترونان . ويضرب ايضاً :  
لمرغوب فيه معه مرغوب عنه لا يفارقه .

٤٦ — « أَنْجَزَ حُرٌّ مَّا وَعَدَ »

اصله : من قول الحارث بن عمرو لصخر بن نهشل بن دارم  
وذلك انه قال لصخر : هل ادلك على غنيمة على ان لي خمسين؟  
فقال صخر : نعم . فدله على ناس من اليمن فاغار عليهم بقومه  
فظفروا وغنموا ، فلما انصرفوا قال له الحارث : انجز حر ما وعده .  
يضرب : في الوفاء بالوعد .

٤٧ — « التَّقْدُّ عِنْدَ الْحَافِرَةِ »

الحافرة الارض التي حفرها الفرس بقوائمه . وقيل معناه

حافر الفرس . واصلهُ في الخيل ثم استعمل في غيرها . وقيل  
النقد عند الحافرة اي عند اول كلمة . يقال فلان في حافرتِه  
اي في امره الاول .

يُضرب : في تعجيل قضاء الحاجة .

٤٨ - « هذا الذي كنتِ تكتمين »

اصلهُ : قاله رجل لامرأةٍ ظن بها جَسَلاً تستره فلما رآها  
خاب ظنه وقال : هذا الذي كنتِ تكتمين !  
يضرب : لمن خالف ظنك في ما كنتِ راجياً له .

٤٩ - « هَوِّنْ عَلَيْكَ وَلَا تَوَلَّعْ بِاشْفَاقِ »

اي لا تكثر الحزن على ما فاتك من الدنيا .  
يضرب : للتأني والتصبر عند النائية .

٥٠ - « وافقَ شَنٌّ طَبَقَهُ »

اصلهُ : شَنٌّ رجل من دهاة العرب . وكان ألزم نفسه ان  
لا يتزوج الا بامرأة تلائمه فكان يجوب في البلاد في ارتياد طلبته .  
فرافق في بعض أسفاره رجلاً الى بلاد ذلك الرجل وهما راكبان ،

فقال له شن : التحملي أم احملك ؟ فاستجبه له الرجل . وانما اراد :  
 التحدثني ام احديثك لسيظ عنّا كلال السفر . وقال له وقد رأيا  
 زرعاً مستعصداً : أأكل هذا الزرع ام لا ؟ وانما اراد : هل بيع  
 فأكل ثمنه . ثم استقبلتهما جنازة ، فقال له شن : احى من على  
 هذا النعش ام ميت ؟ وانما اراد : هل له عقب يحيا به ذكره . فلما  
 بلغ الرجل وطنه وعادل بشن اليه سأله بنت له اسمها طبقة  
 عنه فعرفها فصته وجهه له عندها فقالت : ما هذا الا فطن داه .  
 وفسرت له اغراض كلماته وما حوته من الدهاء والفتنة .  
 فخرج الى شن وحكى له قولها فخطبها . فزوجها اياه وحملها  
 الى اهله فقالوا : وافق شن طبقه .  
 يضرب : للشئين يتفقان .

٥١ - « أوردَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ »

اصله : من قول مالك بن زيد مناة ، عندما تزوج اورد  
 الابل اخوه سعد فلم يحسن القيام عليها والرفق بها . فقال مالك :

اوردها سعد وسعدٌ مُشْتَمِلٌ  
 ما هكذا يا سعد 'تورد' الابل

يضرب : لمن قصر في الامر .

٥٢ - « يَحْلُبُ بُنْيَ وَأَشْدُّ عَلَى يَدَيْهِ »

أصله : ان امرأة بدويةً احتاجت الى ابنٍ ولم يحضرها من يحلب لها شاتها او ناقةها، والنساء لا يحلبن في البادية لانه عار عندهنّ انما يحلب الرجال، فدعت بنياً لها فاقبضته على الخلف وجعلت كفها فوق كفه فقالت : يحلب بُنْيَ وَأَشْدُّ عَلَى يَدَيْهِ. ويروى وأضِبُّ . والضِبُّ الحلب بربع اصابع .

يضرب : لمن يفعل الفعل وينسبه الى غيره .

٥٣ - « يَخْبِطُ خَبِطَ عَشْوَاءَ »

يضرب : للذي يُعْرِضُ عن الامر كأنه لم يشعر به . ويضرب للمتهافت في الشيء . ويضرب ايضاً للسادر الذي يركب رأسه ولا يتم لعاقبته كالناقة العشواء التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل ما مرّت به .

نختم الكتاب بقصيدة نشوان بن سعيد الحميري في أسماء الأذواء والأقوال  
نبتها هنا تنمة للبحث عن حضارة العرب لما بها من الألفاظ الاختصاصية التي ترمز  
عن اسم كل ملك تولى على عرش حمير ، قال نشوان الشاعر :

الأذواء طبقتان : طبقة سمّاها الثامنة وهم ثمانية أذواء كانوا أقوياء فاهضوا  
حمير في أيام دولتهم ، والطبقة الثانية أذواء مستقلون ، أما الأذواء الثامنة فقد  
ضمّتهم الحميري في هذه الأبيات :

أين الثامنة الملوكُ ومملكتهم  
ذلتوا لصرفِ الدهرِ بعد جِماحِ

ذو ثعلبانَ وذو خليلٍ ثم ذو  
شجرٍ وذو جدانٍ وذو صبرٍ وواحٍ

أو ذو مغارٍ بعدُ أو ذو جرفٍ فزٍ  
ولقد محّا ذا عثكلانٍ ماحٍ

وأما سائر الأذواء فأكبرهم ذو مرثد جدّ الناظم وهذا قوله فيهم :

أو ذو مرثدٍ جدّنا القليلُ ابنُ ذي  
شجرٍ أبو الأذواء رحبُ السّاحِ

وبنوههمُ ذو فَيْنَ ذو سفريّ وذو  
عمرانَ أهلُ مكارمٍ وسماحِ

والقيلُ ذو ريسانٍ من أبنائهِ  
راح الحيامُ اليه بالرواحِ

أم أين ذو الرُّحَيْنِ أو ذو يرحمِ  
سقيًا بكأسٍ للمنون ذباحِ

أم أين ذو بهرٍ وذو يزنٍ وذو  
نوشٍ وذو نوحٍ وذو الأنواحِ

أم أين ذو فيقانٍ أو ذو أصبحِ  
لم ينجُ بالأيامِ والإصبحِ

أم أين ذو الشعبينِ أصبح صدعه  
لم يلتئمُ لثقفِ الأقداحِ

أو ذو جوالٍ حيلٍ دون مرامِ  
أو ذو مناحٍ لم يبعُ بمراحِ

أم أين ذو غمدانٍ أو ذو فائشِ  
أو ذو رُعَيْنِ لم يفزُ بفلاحِ

أو ذو الكناسِ وذو الكلاعِ ويعصبِ  
اضحوا وهم للنائباتِ أضحى

أم أين ذو أفسان أو ذو أقرع  
أو ذو الجناح هزبر كل كفاح

أو ذو البعير وذو ذرانج مخانه  
دهر بعيد اليسر كالدلاح

أم أين ذو بيئين أو ذو أنغر  
وبنو شراجيل وآل شراح

أم أين ذو ثاب وذو هكر وذو  
نمبر وذو ضر وذو المسراح

أم أين ذو غيمان أو ذو شودن  
اللاهي بيض في النساء ملاح

أم أين ذو شهران أو ذو ماور  
أضحت ديارهم بلا أقداح

أم أين ذو فهد وشمال ابنه  
فلقد عفاهم دهرهم بمتاح

أم أين ذو شحط وذو نبع معاً  
أو ذو ملاح لهُوَ خَيْرُ ملاح

أم ابن ذو أوسانٍ أو ذو مازنٍ  
أم ابن ذو التيجانِ والابراجِ ؟

وأما الأقيال فهم صغار الملوك الذين يقتضون على مملكة صغيرة كالحفد  
الكبير، أو مؤلفة من بضعة قصور، وفيهم طائفة من العياهل أو الملوك لحضرموت،  
وقد ذكر الحميري بعضهم بقوله :

وعياهلٌ من حضرموتٍ من بني  
اجمادٍ ذي الأشبال آل صباحٍ

والعزُّ من جدانٍ وإبنا مُرَّةٍ  
وبني شبيبٍ والأولى المنساح

وبني الهزِيلِ وآلُ فهدٍ منهمُ  
من كلِّ هَشٍّ باندي مرتاح